

## الإسلام وقانون العقوبات



﴿س: جربنا العديد من النظم والقوانين البشرية فساعت أحوالنا حكاماً ومحكومين، فلماذا يخشى الناس من قانون العدل الإلهي؟

قد نفهم أن يرتتاب الناس في عقوبات وضعها البشر إذ ليس فيهم معصوم من الخطأ أو الهوى ولكن كيف نفهم أو نعقل أن يرتتاب إنسان في عقوبات وضعها الخالق جلّ في علاه لحماية المجتمع من المجرمين والمعتدين (أَفِي قُلْبِهِمْ مَرْضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور: 50-51)، على امتداد السنوات جربنا العديد من قوانين العقوبات فهل كان المصريون آمنين على أنفسهم وأرواحهم وأعراضهم من سطوة القتلة والمجرمين والمعتدين؟ أروني امرأة أو فتاة تخرج اليوم من بيتها آمنة على نفسها وعرضها، لقد بدأ العام الدراسي مشحوناً بهواجس الخوف على أولادنا وبناتنا في غدوهم وروحهم.. ونتساءل الآن كما تساءلنا كثيراً إلى متى نخدع أنفسنا بقوانين جربناها فلم تتحقق للبلاد استقراراً ولا للعباد أمناً، وفي ظلها عاش الحاكم والمحكوم جميعاً غير آمنين، فالحاكم لا يخرج إلا في حراسة مشددة خوفاً عليه من المعتدين، ولا ينام إلا تحت حراسة محكمة، فالخوف للجميع والأمن مسلوب من الجميع والفوبي والإجرام سيوف على رقاب الموادعين والمسالمين، وهذا أمر طبيعي في حياة شعب يحكمه قانون بشري يتسع للمغازلات والمماحكات والحليل، ويرهف السمع. أما العقوبات الإسلامية فيها حياة لكل أبناء الوطن وفي ظلها تعيش النفس محفوظة من العذوان عليها وحفظ النفس من الكليات الخمس الضرورية لوجود أي مجتمع في هذه الحياة أو على ظهر الأرض، ولن يحفظ هذه النفس إلا القصاص الذي اختاره الله عقوبة لمن يعتدي عليها (وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حِيَاةٌ إِذَا أُولَئِي الْأَلْيَابِ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ) (البقرة: 179)، لأنّ القاتل إذا علم أنّه إذا قتل غيره يقتل به كف عن القتل وامتنع عنه، ونتساءل مع المرتباين في هذا: كم جريمة قتل وقعت أيام كان القصاص عقوبة للقاتل لقد كانت هذه الجريمة أن تختفي حتى بعد أن اتسعت شؤون الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً.. وجريمة القتل بالذات لا يقدم عليها القاتل إلا وله أسباب وداعٍ تجعله يستهين بعقوبة السجن مهما كانت شدتها ولكن من الصعب أن يستهين بالقصاص بل يفكّر ألف مرة قبل أن يُقدم على قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأمام أعيننا تجربة عملية، الشعوب التزمت بقانون العقوبات الإسلامية في جرائم العذوان على النفس والمال والعرض فتهيأ لها من أسباب الأمان ما لم يتهيأ لغيرها من شعوب الأرض، وذلك رغم اتساع المساحات وتعدد الجنسيات النازحة إلى تلك البلاد (وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة: 50).

دعنا نتعرف أوّلاً بأن أحكام العقوبات الإسلامية أو القوانين الجنائية في الإسلام لم يصنعاها المسلمين ولم يصنعاها الصحابة أو التابعون، وإنما هي أحكام إلهية وضعها خالق البشر وصاحب الوجود وأنزلها على رسوله الأكرم (ص) وأمره أن يحكم بها في الناس (وَأَنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاهُمْ وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ عَنْ يَعْمَلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (المائدة/49)، وأحكام الله لا تجامل مسلماً ولا تحابي مؤمناً ولا تظلم إنساناً مخالف لعقيدة الإسلام وفي ظل هذه الأحكام استروح المخالف لعقيدة الإسلام أنفاس العدل وكرامة الإنسان وحرية الاعتقاد، وفي أحصان تلك الأحكام الإلهية وقف البسطاء في ساحات القضاء خصوصاً للأمراء والحكام دون تردد أو خوف فأحكام الإسلام لا تعترف بالحصانة لأي إنسان ولا بالعصمة إلا للأنبياء. وهذا يعني أن سيف العدالة فوق رقاب الجميع، فالأخير مأمور بأخذ مجرمه والفقير مأمور بذنبه وبذلك يسلم المجتمع كلّه من أسباب الشقاء والهلاك الذي حذرنا منها رسول الله (ص) بقوله: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الظَّالِمِينَ قَبْلَ كُوُمٍ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَّقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَّقَ فِيهِمُ الصَّالِحُونَ أَفَاقُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِذَا مُؤْمِنٌ لَوْ أَنِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَّقَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"، ونتساءل مع المرجفين والمناوئين: كم يداً امتدت إلى السرقة؟ وكم يداً قطعت في ظل هذا القانون؟ وأي إنسان عاقل يضحي بقطع يده ولو من أجل المليارات؟ ولكن رأينا في عصرنا من يسرق المليارات تحت حماية القانون وحراسته. فكيف يأمن الناس على أموالهم إلا في ظل قانون يعاقب الشريف كما يعاقب الضعيف؟ وهل يأمن الناس على أرواحهم إلا في ظل قانون إلهي يقتضي للكناس من ذوي السلطة والبأس؟ وفيه تؤخذ النفس بالنفس والجراحة بمثلها (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ الذَّفَنَ يَالذَّفَنَ وَالْعَيْنَ يَالْعَيْنَ وَالْأَنْفَ يَالْأَنْفَ وَالْأَذْنَ يَالْأَذْنَ وَالسَّنَ يَالسَّنَ وَالجُرْجُورَ يَالجُرْجُورَ وَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الطَّالِمُونَ) (المائدة/45)، ولو تسائلنا بعد هذه الأعوام الطويلة: لماذا شاعت في مجتمعنا جرائم الأعراض المسنوبة بالزنا أو بالسلنة وأفلام تستبيح الأعراض بإطلاق الشائعات؟ والجواب معروف إذ لا يوجد أعراضنا مصونة، وحرماتنا لا تنتهك، وحياتنا محفوظة، وفي طلبه يعيش الناس جميعاً آمنين في بيوتهم آمنين في غدوتهم ورواحهم، مطمئنين على أرزاقهم ومعاشرهم، لا يظلمون ولا يُظلمون ولا يأكلون أموال الناس بالباطل، وتلك هي الحياة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِذُوا لَلَّهِ وَلَلَّهِ سُولِ إِذَا دَعَاهُمْ لِمَّا يُحِبُّ يَكُمْ) (الأనفال/24).